

مركزية الآخر وهامشية الذات في الشعر العربي الحديث في النصف الاول من القرن العشرين (أحمد شوقي نموذجاً)

أ.م.د. بان كاظم مكي السامرائي

ملخص

تناول موضوع البحث (مركزية الآخر وهامشية الذات في الشعر العربي الحديث في النصف الاول من القرن العشرين) (أحمد شوقي نموذجاً) في الفترة ما بين (١٩١٧ - ١٩٣٩) حضور الآخر في شعر احمد شوقي والمقصود هنا بالأخر هو الغرب بجميع اشكاله وصوره.

ففي ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي عصفت بمصر من احتلال فرنسي وانكليزي فضلاً عن الاثراك الذين تعاطف المصريون معهم لأنتمائهم الديني بعيداً عن السياسة تأثر شوقي بالبيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة به وذلك لقربه من هذه الاحداث، فقد عاش في وسط تلك الاحداث وبما ان شوقي شاعر فقد كان مرهف الحس فكان له الاثر الكبير في حياته وعلى الرغم من انه درس في مصر غير انه اتم دراسته في اوربا، فقد تأثر بالوسط الاوربي وبالحيوة الاوربية وبالشعر الاوبي تأثراً كبيراً وظل هذا واضحاً في شعره.

فقد جمع شوقي بين شاعر الحياة العربية بحضارتها الاسلامية من قيم اسلامية ودينية وبين شاعر الحياة الغربية بحضارتها وتقدمها العلمي والفكري والادبي.

فكان من مبحثين تناول المبحث الاول منه ظهور الآخر عند الشعراء من خلال تسليط الضوء على اهم الاحداث والوقائع التاريخية فبرز لدينا التشكل التاريخي والتشكل المعاصر للآخر وماله من اثر واضح في نفس شوقي، ثم رصد المواقف الانسانية اتجاه الآخر والانتماءات الفكرية والايولوجية لدى الشاعر، فضلاً عن رصد اسماء الاعلام والاماكن الطبيعية التي كانت لها الاثر الواضح لتشكل صورة الآخر عند شوقي.

اما المبحث الثاني فتناول ظهور الآخر في الادب فكان الادب الفرنسي والانكليزي والتركي هو المتمثل بصورة الآخر عند الشاعر لأطلاع على ادابهم وذلك من خلال اجادته اكثر من لغة مما ساعد على التعرف والاطلاع على ادب الاخر. وفي نهاية البحث كانت للخاتمة التي تضمنت اهم النتائج التي توصل اليها البحث ثم قائمة المصادر.

المبحث الاول : ظهور الآخر عند الشعراء

١- الاحداث والوقائع :

أ- التشكل التاريخي للآخر :

أثرت الاحداث والوقائع التاريخية التي عاشها المصريون في تشكل نظرة الابداء والمبدعين هناك تجاه الاخر، وهذا التشكل انعكس في قصائد عدد من الشعراء ومنهم (احمد شوقي) موضوع

ببحثنا، اذ افصح شوقي في شعره عن موقف واضح من الاحداث التاريخية التي مرت بها مصر، وتمثل قصيدة (كبار الحوادث في وادي النيل) المواجهة الاولى بين الشاعر والآخر في التسلسل التاريخي لمصر وأولية المواجهة لا تعني تسلسل القصيدة في ديوان شوقي بل هي مواجهة مع أقدم احتلال لمصر (الاحتلال الفارسي)، ففي هذه القصيدة هناك بوح برفض الاخر، الذي

ظلم واعتدى وتجبر واحتل، يقول شوقي في هذه القصيدة:
لَا رَعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمِي
زُ وَلَا طَنَطَنَتْ بِكَ الْأَنْبَاءُ
ثم يضيف:
يَوْمَ مَنَفِيسَ وَالْبِلَادُ لِكَسْرِي
وَالْمُلُوكُ الْمَطَاعَةُ الْأَعْدَاءُ (١)
وإذا علمان ان الاحتلال الفارسي لمصر حدث في (٢٢٥ ق.م) لأدرنا عمق

في عصره القريب بين الامبراطوريات الاوربية اذ انذاك ومنها (بريطانيا وفرنسا) اذ احتل القائد الفرنسي (نابليون بونابرت) مصر، وبعد احتلالها اظهرت بريطانيا اطماعاً لأحتلالها، فبعثت بأسطول حربي بقيادة (ولينجتون) لمحاربة نابليون بونابرت والاستيلاء على مستعمراته، وحدثت بين الطرفين معركة حاسمة عرفت بمعركة (ماترلو)، انتهت بانتصار البريطانيين بمساعدة مباشرة من الروس على فرنسا وقائدها نابليون، الامر الذي ادى الى نفي نابليون الى جزيرة (سانت هيلانه).

وعبر شوقي عن هذه النهاية بأبيات شعرية رسمت الاخر عنده، فيقول:

ماهز العصر والممالك تشابك

بيوت ولى فواده كبراء

فهي لو حتى اليه ان تلك (واتر

لو) فأين الجيوش ايها اللواء (ه)

ان لغة البيتين تشير الى ان شوقي لم يظهر الا رفضاً لنابليون وانه لم يكن راغباً في احتلال بلاده من قبل الفرنسيين، وفي ضوء هذا نرى ان قضية صراع الامبراطوريات كانت تنتهي عند شوقي بالتأثير على مصر.

اما الحدث المعاصر الثاني الذي تناوله شوقي في شعره فهو الحرب العثمانية مع اليونان، وهذه الحرب اثرت كثيراً في شعره، ونرجح ان هذا التأثير نابع من مسألتين الاول انتماء احمد شوقي القومي والثاني الموقف الديني المنحاز لتركية ضد اليونان الدولة المسيحية وهاتان المسألتان هما اللتان جعلتا شوقي يمجّد بطولات الاتراك قوله:

جبال ملونا لا تخوري وتجزعي

ان الفراغة كانوا مستبدين ولذلك بنى المصريون الامرام بقوة الطغيان والتسلط كان شوقي معارضاً لهذا الرأي الامر الذي جعله يعكس هذا الموقف من مؤرخي اليونان في شعره فيقول:

وَأدعَاكَ الْيُونَانُ مِنْ بَعْدِ مِصْرٍ

وَتَلَاهُ فِي حُبِّكَ الْقَدَمَاءُ (٣)

ان ما طرحنا انفا يشير الى ان مصر كانت تعيش عقب الاحتلال (الفرس)، الاسكندر، الروم) وهي مجردة من العقيدة التي ترسخ وجودها وشخصيتها، وهذه القضية هي التي جعلت المؤرخون ينظرون الى فراغة مصر على انهم مستبدون.

وفي ضوء هذه النظرة كان التشكل التاريخي الرابع عند شوقي في عصر الاسلام، اذ ظهر الاسلام ومثل لشوقي الشخصية التاريخية المستقلة قوله:

أَشْرَقَ النُّورُ فِي الْعَوَالِمِ لَمَّا

بَشَّرَتْهَا بِأَحْمَدَ الْأَنْبَاءِ

بِالْيَتِيمِ الْأُمِّيِّ وَالْبَشْرِ الْمَوْ

حَى إِلَيْهِ الْعُلُومُ وَالْأَسْمَاءُ

قُوَّةَ اللَّهِ إِنْ تَوَلَّتْ ضَعِيفاً

تَعَبَتْ فِي مِرَاسِهِ الْأَقْوِيَاءُ (٤)

فالإسلام يمثل لدى شوقي الارادة

وهنا اختفى الاخر في شعره.

ب- التشكيل المعاصر للأخر:

مرت مصر بأحداث كبيرة بعضها عاشها شوقي واخرى حدث قبله بمدة قصيرة، جعلته يستحضر مكونه الثقافي والفكري والعقائدي ويعلن موقفه من الاخر فتملما كانت كيلوباترا ضحية الصراع بين الملوك الرومان على العرش وامتلاك الاخر، ووجد شوقي هذا الصراع وقد تكرر

التأثير التاريخي للاخر في شخصية الشاعر وادبه لان الاخر في هذين البيتين مستعمر مصر، ومصادر لأرادتها (الملوك المطاعة الاعداء)

وهذا التشكل التاريخي لم يعكسه الشاعر على عصره، بل اكتفى بالأشارة الى (الملوك)، ونرجح ان يكون الاخر المحتل في نظر الشاعر مكرر السمات لهذا لم يذكر الشاعر ما حدث لمصر في عصره. اما التشكل الثاني للأخر فقد عبر عنه شوقي في الموقف من (الاسكندر الاكبر) الذي طرد الفرس من مصر بعد فتحها وحكمها عام (٣٢٢ ق.م).

ولو دققنا في نظرة الشاعر للأخر (الاسكندر الاكبر) نجد انها تمتاز بخاصية جديدة تقوم على صراع المحتل الداخلي، وهذا الصراع لم يطرحه الشاعر في الاحتلال الفارسي، فبعد فتح مصر من قبل الاسكندر حكمت كيلوباترا تلك الدولة في عهد قيصرين من قباصرة روما، حتى ماتت كيلوباترا انتحاراً، وعن هذا قال الشاعر:

سَلْ كَلِيبَتْرَةَ الْكُأِيدِ هَلَا

صَدَّهَا عَنِ وِلَاةِ رُومَا الدَّهَاءُ

فَبِرُومَا تَأَيَّدَتْ وَبِرُومَا

هِيَ تَشَقَى وَهَكَذَا الْأَعْدَاءُ

وَلِرُومَا الْمَلِكُ الَّذِي طَامَأَ وَ

فاه في السر نصحها والولاء (٢)

ان الصراع الذي عرضه شوقي يشير الى ان بلاده (مصر) كانت تتأثر بالأخر المحتل (سل كيلوباترا، وبرو ماهي تشقى، ولروما الملك).

وفي موضوع ثالث يطرح شوقي موقفه من مؤرخي اليونان الذي تناولوا قضية مصر على وفق رؤيتهم الخاصة، مدعين

إِذَا مَالَ رَأْسُ أَوْ تَضَعَضَعَ مَنَكِبُ
فَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ وَالنَّارَ مَرَكِبًا
وَمَا كَانَ يَسْتَعَصِي عَلَى التُّرْكِ مَرَكَبُ
(٦)

ان ذكر التفاصيل الخاصة بمعارك
العثمانيين، تؤكد ان شوقي لا يجد في
الدولة العثمانية الا ذاته، اما اليونان فهم
الآخر، ولما كانت مصر محكومة من قبل
سلالة المماليك الذين يمنون بصله دم
للعثمانيين فإنه لم يرَ فيهم الاحماة للدين
والمحافظين على منحته وذلك بقوله:

بِسَيْفِكَ يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَعْلَبُ
وَيُنْصَرُدُ دِينُ اللَّهِ أَيَّانَ تَضْرِبُ (٧)

ان هذه النظرة تتكرر عند شاعر
مصري اخر هو حافظ ابراهيم الذي
يرى في العثماني مثلما يرى شوقي، ولكن
بتصريح اوضح من التصريح الذي طرحه
شوقي غي شعره يقول:

فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى
فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ (٨)

ان هذا البيت الشعري والابيات التي
ذكرها شوقي تشير الى ان الآخر المنسجم
مع الشعارين بالدين لم يعد عدواً، بل
جزء من الشخصية الوطنية لمصر، وسبق
ان ذكرت ان الانحياز للاتراك عدت الى
سريان الدم التركي بعروق الشعارين
فشوقي وحافظ ابراهيم ينحدران من
اصول تركية والفارق بينهما ان شوقي ولا
وعاش وتربى في حياة القصور لأنحداره
من اسرة ارستقراطية بينما حافظ عاش
حياة بائسة في اوساط الجماهير .

ان انحدار حافظ ابراهيم جعله اكثر
انهاراً بالمتغيرات التي حدثت في العالم ،
واكثر سعيًا للألقاء الحضارات وقد تميز
هذا الموقف بقوله :

ففي الغرب كيد ينظم الغرب حسنه
فهتتز من وقع السرور جوانبه
وفي الشرق كيد لم ير الشرق مثله
تدقق في دار السلام مواكبه (٩)

ان هذين البيتين يشيران الى ان
حافظ كان يجد بعض الصلة الحضارية
مع الآخر ، ففرنسا على الرغم من تمثها
للاستعمار، الا انها في الوقت نفسه تمثل
الحضارة والتجدد والاعياد والمستقبل
ايضاً، ولذلك فعلى الشرق ان يتفاعل معها
وان لا يكتفي بمعاداتها ورفضها، ان هذه
الثنائية عند حافظ ابراهيم تمثل صورة
اولية من صور التفاعل الحضاري في
مجال الشعر بين الشرق والغرب ، الامر
الذي يجعل الشاعر رائداً من رواد دعوات
الحوار الثقافي بين الطرفين.

٢- المواقف الانسانية :

ان ظهور الآخر عند الشاعر يمكن
رصده من مواقفه الانسانية اتجاه ذلك
الآخر بتأثره بالحوادث الطبيعية التي تمر
به وذلك واضح عند شوقي عندما وصف
الزلزال الذي عصف باليابان قوله :

قف (بطوكيو) وطف على (يوكا هامة)
وسل القريتين كيف القيامة (١٠)

فتصويره للآخر وما عصف به من
دمار نتيجة ذلك الزلزال دليل على حسه
المرهف قوله :

جهارجة اكتب على قر
نية (بودا) وزلزلت اقدامه
استعدنا بالله من ذلك السيل
الذي يكسح البلاد امامه (١١)

ولم يبتعد شاعرنا الزهاوي عن
بتصويره لهذا الموقف الانساني بوصفه
تلك النكبة التي عصفت باليابان عندما

ضربها الزلزال قوله :
ولعت قلوب القوم في اليابان
للبحر حين طغى والنيران
اريتما ايها القمران

في الحادثات كاليابان (١٢)
وهذا وان دل على شيء انما يدل
على حس الشاعر المرهف اتجاه الحوادث
الطبيعية التي تحدث حوله محاولاً نقلها
لشعره باعتبارها صورة من صور تأثر
الشاعر بالآخر .
ومن المواقف الانسانية التي اشاد
بها كل من شوقي وحافظ ابراهيم الموقف
الانساني للفيلسوف الروسي تولستوي
الذي تخلى عن ماله لمساعدة الفقراء
ومساندتهم فرثاه شوقي بقوله :

(تولستوي) تجري ايه العلم دمعها
عليك ويكي بائس وفقير (١٣)
كما رثا حافظ ابراهيم بقوله :

قضيت حياة ملوها البر والتقى
فأنت بأجر المتقين جدير (١٤)

٣- الانتماء الفكري :

للانتماء الفكري للشاعر الاثر الكبير
في شعرهم فكل شاعر لطبيعة حياته
ونشأته نجده يتوجه في شعره .
فشوقي لطبيعة مولده ونشأته كان
بعيداً عن عامة الشعب فلم يحس بشعورهم
وانما كان يشعر بشعور القصور فاذا غضب
القصر على احمد معين غضب شوقي .
ونجد هذا واضحاً في قصة (دنشواي)
القرية المصرية التي اصابها ما اصابها من
الانكليز فلم يستجيب شوقي للثورة بها وما
حدث فيها من غضب وحقد وغيظ الا بعد
مرور عام على الحدث فيؤلف مقطوعة،
يسمياها "ذكرى دنشواي" .

ومن المواقف الايدولوجية والانتماءات الفكرية لدى الشعراء موقف حافظ ابراهيم وهو ينكر الحرب التي عصفت وما ارتكبه المانيا فيها من خراب في الحرب العظمى قوله:

هل شهدت في (برلين) غير معسكر

قامت عليها معاقل وحصون

لوان في (برلين) عندك مثلها

تعرفت كيف تجلها وتصون (٢٣)

وفي ابيات لشوقي اشار فيها للدخر فوصفه انه مثل البحر الذي لا يؤمن جانبه قوله:

أماناً أماناً لجة الروم للورى

لوان أماناً عند دأماء يطلب (٢٤)

ويقرب حافظ ابراهيم من نفس المعنى الا ان اشارته الى الاخر تختلف فالمقصود بها الفرنسيون عندما غدروا بسعد زغلول فصورهم مثل البحر لا يؤمن جانبه قوله:

لا تقرب (التاميز) واحذر وردة

مهما بدا لك انه معسول (٢٥)

فالغرب هنا والذي مثله لنا الشاعران احمد شوقي وحافظ ابراهيم مثل البحر لا يؤمن ويغدر مهما بدا للناظر جماله وصفاءه الا انه لا يخلو من ساعات هياج يحطم بها كل من حوله.

اما الاخر عند الزهاوي فيختلف فلم يحدد من هو الاخر واكتفى بكلمة الغرب والذي تمثل لديه بالتقدم الحضاري والفكري والادبي يقابله نظرتة للشرق الذي تمثل لديه بالجهل والضعف والتخلق ولم يأخذ الشرق من الاخر سوى القشور قوله:

ابحرت مركبة النجا

زاد الهواء او الاثير

الانكليز موقف واضح بأعتبره استعمار فتجد موقفه اشد حدة من شوقي الذي هو اقرب للحكام من حافظ وفي ابيات اخرى يذكر شوقي الاخر بقوله:

اصلحوا واستراح (لويس) منهم

لذا تمنيت ميدان الوفاق (١٩)

المقصود هنا لويس السادس عشر الذي اعدم ايام الثورة الفرنسية في ميدان (الكونكرد) او الوفاق فقد اتفق على ما ارادوا واصابوا به ومن ابيات اخرى اشار لها شوقي للاخر قوله:

كُنْ ظَهِيْرًا لِأَهْلِهَا وَتَصِيْرًا

وَأَبْدَلِ النَّصْحَ بَعْدَ ذَلِكَ مَحْضًا

قُلْ لِقَوْمٍ عَلَى الْوَلَايَاتِ أَيْقًا

ظِلًا إِذَا ذَاقْتَ الْبَرِيَّةَ عُمُضًا (٢٠)

هنا الاخر الذي اراده شوقي ان يكون عوناً ونصيراً فهو يخاطب الرئيس السابق للولايات المتحدة (روزفلت).

وقد يكون الاخر رمز من رموز الحرية والاستقلال قوله:

سلام النيل يا عتدي

وهذا الزهر من عندي (٢١)

وفي نفس المعنى نجد شاعرنا الزهاوي قد اشار الى ذلك الرمز وهو (كندي) الذي وقف بوجه الظلم والاستعباد قوله:

"عتدي" له قدره في كل مؤتمـر

ولا يعيب عليه العرى انسان

ومن ذا من الناس الامن به خلل

يزري على السيف ان السيف عريان (٢٢)

فهنا الاخر هو كالسيف قوة وتأثير لما له من متعة وقوة على مواجهة الاعداء والمطالبة بالحرية.

فالأخر هنا مثل الموقف الايجابي

لدى الشعراء لما يحمله من قيم اثمرت في المجتمع.

يا دنشواي على رباك سلام

ذهبت بأنس ربوعك الايام

عشرون بيتاً اقضرت وانتابها

بعد البشاشة وحشة وظلام (١٥)

فلم تكن هذه المقطوعة المحاولة من شوقي لأرضاء الجمهور.

اما حافظ ابراهيم فقد عاش مع الشعب فلذلك يشعر بما يشعرون فعندما حدثت (دنشواي) فقد شن حافظ ابراهيم حرباً على الانكليز وعل كل من عاونهم من المصريين وعلى الذين وقفوا متكيفين امام هذه الحادثة قوله:

ايها القائمون بالأمر فينا

هل نسيتم ولاءنا والودادا (١٦)

حافظ ابراهيم مع الوحدة العربية والاسلامية فله عدة مواقف نادى من خلالها ودعى الى ذلك. كما دعى الى نبذ الاحقاد والبغضاء والاتحاد للوقوف ضد اي استعمار غرضه التفريق.

اما شوقي فلم تخلى شوقياته من مواقف فنجد مره مادحاً لعلم من اعلام السياسة ومره اخر ناقماً اذا كان يضره ويمس برفعة الاسلام قوله في اللورد كروم وهو السفير الانكليزي في مصر:

واحمل بساقتك ربطة في لندن

واخلف هناك غراي او كميللا (١٧)

فقد حاول كروم الانتقاص من الدين الاسلامي والمس به من خلال التقليل من قيمة الاسلام فكان الاخر هنا عند شوقي معادياً للاسلام والمسلمين اما حافظ ابراهيم فلم يقل موقفه عن موقف شوقي فيما يتعلق بالاسلام والمس بحرماته قوله:

قم واصح ما خطت يمين (كروم)

جهلاً بعد من الواحد القهار (١٨)

الا ان ابراهيم حافظ موقفه من

وركوبة الشرق الهج

ين او الحمارة والبعير (٢٦)
الغرب يتمثل بالقوة والشرق والعرب
بالضعف فقد اثار ذلك في نفسية الزهاوي
نفسياً من عدم التعايش وتولد الصراع
فوجد في المجتمع الانساني مجتمع
غابة الحياة فيه للأمة الاقوى والاعلم
والاقدّر (٢٧) ، قوله:

الاقوياء بكل ارض قد قضاوا

الا تراعى للضعيف حقوق

ان الشعوب لتستحق تساوياً

لولا اختلاف بينها وفروق (٢٨)

فهو يرى ان الضعيف يجب الا يلوم
الا نفسه اذا ما اغتصب الاقوياء حقه ،
فتناعة الزهاوي بهذه الفكرة وايمانه بما
جعله يؤمن بأهمية الحياة الكريمة بين
الامم عامة والامة العربية خاصة.

٤- أسماء الاعلام:

يستخدم شوقي الاعلام عند الآخر،
محاولاً اجراء مقارنة بين الشرق والغرب،
والشرق في نظره متمثل بالاسلام في حين
يتمثل الغرب بالامتداد الحضاري القديم
والديانة المسيحية، وعلى هذا الاساس
استعار شوقي (ارسطو) للتعبير عن
الامراض الاجتماعية والانسانية التي يبثها
الغرب فيقول:

داء الجمامة من ارسطو طاليس لم

يوصف له حتى اتيت دواء (٢٩)

وقوله:

حسامك من سقراط في الخطب اخطب
وعودك من عود المدابر اصب
وعزمك من (هومير) امضى بديهه

واجل بياناً في القلوب واكذب (٣٠)

فالآخر عند شوقي والمتمثل بقوة

الدين الاسلامي وتفوفه على حضارة
الغرب وعلمائها في جميع الميادين وعلى
جميع الاصعدة من ارسطو طاليس مروراً
بسقراط الى هومير وسر توفيق الاسلام بما
حمله من علوم ومعرفة لم يستطع من سبقه
ان يكتب فيها.

وفي ابيات اخرى نجد شوقي يشير الى
التقدم الفكري والادبي قوله:

اريكة (هومير) فيما مضى

وعرش (شكسبير) فيما سلف (٣١)

فالتقدم الفكري فاق الاخر في
العلم والمعرفة ولهذا جاءت اشارته الى
الصحافة في مصر ومقدار تقدمها، ثم
ينتقل شوقي الى موضوع التقدم الاخر من
خلال الاقرار بهذا التطور، مؤكداً ان هذا
التطور لم يكن ليحصل لولا وجود العلماء
والمفكرين والادباء فيقول:

ما أنجيت مثل (شكسبير) حاضرة

ولا نمت من كريم الطير عناء

نالت به وحده (انكلترا) شرفاً

ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاء (٣٢)

وفي هذه النظرة هناك تقارب بين
احمد شوقي وحافظ ابراهيم اذ جعل
الثاني منزلة خاصة بشكسبير مشيراً الى
احقية بلاده بالفخر به بوصفه مبدعاً كبيراً
وفي هذا الصدد يقول حافظ ابراهيم:

الا ان ذكر شكسبير بدت لنا

بشير سلام ثغره يبتستتم

اراني في (ماكبث) للحدق صورة

تكاد بها احشاؤه تتخرم

ومثل في (شيلوك) للبلخ سحنه

عليار غبار الهون والوجه افتحم

واقعد في سحر وصف (هيلين) حسنها

وفي مثلها تقيا البراكة والغم

.....

دع البحر في (روميو) و (جوليت) انما

يحسن بما فيها الاديب المنيم (٣٣)

فيتضح من خلال الابيات ان حافظ
ابراهيم اعجب بنتاج شكسبير الامر
الذي جعله يوضع روعة انتاجه في قصيدة
شعرية متناً في الوقت نفسه الشخصيات
التي حوتها ابداعات شكسبير وطريقة
حركتها في العمل الابداعي.

ومن اعلام الفكر والادب الفرنسي

(فيكتور هيجو) الذي اثر بالشاعر احمد

شوقي وذلك عبر اشارته للتقدم الفني

والابداعي والفكري بقوله:

واجل يهم عيدك بالماأ نور

الا واثت اجل يا فكتور

مات القريض بموت (هيجو) وانقضى

معك البيان فأنتهم جهور (٣٤)

فقد اثر فيكتور هيجو في الشاعر

احمد شوقي والشاعر حافظ ابراهيم

فهو عند حافظ ابراهيم مثال للركي

الادبي والفكري ولذلك كثيراً ما كان يقرن

الانموذج العربي الجيد بشخصية فيكتور

هيجو بوصفه رمزاً من رموز فرنسا الادبية

والثقافية، وكانت قصيدة الثناء التي مدح

فيها حافظ ابراهيم الشاعر احمد شوقي

قد اقترنت بشخصية فيكتور هيجو، يقول:

ويشاورني (هوغو) ويأتي نسيه

لنا من ليالي (العريد) بأريغ (٣٥)

ويبدو ان العلاقة بين الشعارين قد

اتخذت اطاراً تأثرياً بالآخر فند حافظ

ابراهيم يشبه نفي احمد شوقي بالنفي

الذي تعرض له هيجو مؤكداً ان هذه

المسألة جعلت تجربتهما الشعرية اكثر

نضجاً، بقوله:

لقد راد (هوغو) فيه خصب فريحة

واب الى اوطانه جد مرجع (٣٦)

قوله:

تحية شاعر يا ماء (جكسو)

فليس سواك للأرواح انس(٤٥)
وقال شوقي عندما زار قسم الازهار
والثمار في المعرض بباريس قوله:

رزق الله اهل باريس خيراً

وارى العقل خيراً مازرقوه(٤٦)
اما حافظ ابراهيم فقد وصف الآخر
من خلال رحلته لأيطاليا قوله:

ايه ايطاليا عدتلك العوادي

وتنحى عن ماكنيك البتور

فيك يا مهبط الجمال فنون

ليس فيها عن الكمال قصور(٤٧)
فقد انبهر الشعراء بجمال الطبيعة
وما زاروا من اماكن فكان تأثرهم بالآخر
بما حوى من جمال وروعة وتأثرهم به
واضح في شعرهم فرقت العبارات وعذبت
الالفاظ لتناسب مع ما يرون امامهم من
مناظر حركت بداخلهم احساس الشاعر
المرهف.

المبحث الثاني: ظهور الاخر في

الادب

أ__ الأدب الفرنسي:

اطلع شوقي على الآداب الفرنسية
اثناء دراسته الحقوق في فرنسا فقد كان
يجالس الشعراء الفرنسيين مما اتاح له
مواكبة حركات التجديد في فرنسا فكان
يقراً لفكتور هيجو ولا مارتين ودي موسية
ويعتبرون من نوابغ الشعراء ويلاحظ تأثره
بهم من خلال مقدمات شوقياته.

فقد اخذ يقلد لافونتين فألف قصص
على السنة الطيور والحيوانات ومن خلالها
يوجه موعظة للأطفال فكان يخاطبهم
بلغة سلسة سهلة بعيدة عن التعقيد وجدها

فذكر حافظ للأخر هو للأشاده
بفضله للتقدم الحضاري الحاصل.

ومن اعلام الادب التي اشار بها
حافظ ابراهيم للأخر قولها
تالله لو اصبحت (اف)

لاطون) تلك الاعصر
وغدا (ابقرط) بيا

بل كالتقديم المعسر
وبرعت (جالينوس) او
لقمان) بين الحضرة(٤١)

٥- الاماكن الطبيعية :-

قد نجد الاخر عند الشاعر عند ذكره
الاماكن الطبيعية قال شوقي:

يا غاب بولون ولى

ذمم عليك ولى عهد

يا غاب بولون ربى

وجد مع الذكر يزيد(٤٢)
فهنا الاخر المتمثل ب (غاب بولونيا)
فتجده يتغنى بجمالها وروعته ويتذكر
معها اللحظات التي جمته بمحبوبته
فالآخر هنا كان له الاثر الواضح في نفس
الشاعر.

وفي اشارة اخرى وصف فيها جمال
مدينة سويسرا قوله:

هل لقيت فأوحى ان غدا

بالتطود ابيض من جبال (سويسرا)
ناجيت من اهوى وناجاني بها

بين الرياض وبين ماء (سويسرا)(٤٣)
وفي ذكر الاخر يوصف جنيف
وضواحيها قوله:

جاب المماليك حزنها وسهولها

وطوى شعاب (الصرى) و (البلعار)(٤٤)
وفي ذكر اخر من خلال وصف شوقي
(كوك صو) وهو موقع جميل في الاستانة

كما اثرت شخصية هيجو بالشاعر
حافظ ابراهيم مشيراً الى ما قدمه العرب
من منجزات ادبية وثقافية اثر في الغرب
تأثراً كبيراً بقوله:

سائلوا الطير ذا ما حاجكم

شدها بين الهوى والطرب

هل تغنت لورنت بسوى

(شعر هوغو) بعد عهد العرب(٣٧)
وتناول حافظ ابراهيم مؤلفات هيجو
بالمديح معبراً عن تأثره بما انجزه الكاتب
الفرنسي وذلك بقوله:

جلوت للغرب حسن الشرق في حلل

لا يستهان بها نسج (هرناني)(٣٨)
وهنا يتضح تأثرهما حافظ ابراهيم
واحمد شوقي بالمستوى الرفيع للكاتب
الفرنسي.

ومن اعلام الفكر والادب الفرنسي
الذي اشار اليها حافظ ابراهيم الفريد
ولا مارتين ومقارنتهما بشاعرين عربيين
بقوله:

سل (الفريد) و (لامارتين) هل جريا

مع (الوليد) او (الطائي) بميدان(٣٩)
و(الفريد) و (لا مارتين) هما

شاعران عرفا برقة شعرهما في الغزل
وفي البيت الشعري هناك سؤال للشاعرين
الفرنسيين ان كانا قد تمكنا من نظم
الشعر كما استطاع الشعراء العربيين
(الوليد والطائي) في العصر العباسي.

ومن اعلام الادب اشارة حافظ
ابراهيم للكاتب الفرنسي اميل زولا وهو
يشير الى التقدم التقني والادبي الفكري.

بلغ اذا جئت (باريزا) افاضلها

عنا التحيات واشفعها بشكران

وخص كاتبهم (زولا) باطيبها

كيما يقابل احسان بأحسان(٤٠)

الضئيل من خلال قراءته لمسرحيات شكسبير فالملحظ تأثره بتلك العقلية الفكرية والادبية فهناك ابيات مدح شوقي بها شكسبير واشاد ببراعته وتمكنه فقد وصف ابياته الشعرية بالابيات المنزلة قوله:

وما انجبت مثل شكسبير حاضرة

ولا نمت من كريم الطير عناء (٥٦)
فوصف ابياته التي تعبر عن بلاغة وسحر وعذوبة معانيه وعباراته مثل الطير المفرد بأعذب الالحن.

وقد كان تأثر شوقي اكثر ما يكون بتلك المسرحيات من خلال تأثره بالمدرسة الرومانتيكية وكان ذلك واضحاً من خلال ادخاله العناصر الفكاهية في مسرحياته كما انه اراد من خلالها الدعوة الى الاخلاق الكريمة وهذا كان هدف المسرح الغربي ومنه شكسبير. (٥٧)

وعلى الرغم من تأثر شوقي بمسرحيات شكسبير الا اننا لا نجد حافظ ابراهيم ذلك الاثر واضحاً او وافراً في شعره على الرغم من كونه يقرأ ما يترجم من الادب الانكليزي الا انه تأثره محدود وكما نرى واضحاً في ترجمته لبعض قطع شكسبير. (٥٨)

ج- الأدب التركي :

كان احمد شوقي من الشعراء الذين يختلف موقفه من الاتراك وذلك لأنحداره من اصول تركية شركسية فمن الطبيعي يكون تأثره بالآخر فضلاً عن اجادته اللغة التركية فمن غير المستبعد انه اخذ مقطوعات او صور ادبية نقلها الى العربية فتجده يذكر الاتراك عندما يتناول حروبهم وانتصاراتهم وخلافتهم بفخر

بغزليات ديموسيه (٥٢) ، وذلك لان شوقي في ديوانه الشوقيات لم يعيش لنفسه وذلك لان اغراضها معظمها اما مدح او رثاء او صف حادثة معينة وان كان هناك غزل فهو محدود في اطار معين لا يخرج فيه الى الغزل بمعنى الغزل الذي يجعله عاشقاً هائماً قوله:

خدعوها بقولهم حسناء

والغواني يعرهن النساء
نظرة فأبتسامة فسلام

فكلام عوعد كلفاء
ففراق يكون فيه دواء

او فراق يكون فيه الداء (٥٣)
ولم يكن تأثر شوقي بالتيار الاوربي على صعيد الشعر فحسب بل تأثره من خلال مسرحياته بالمدرسة الكلاسيكية الفرنسية من خلال عرضه المسرحي الخالي من الحوادث واجواء المبالزة وتتطلع الى تلك الاجواء من خلال الممثلين وهذه صفة كلاسيكية اتبعتها شوقي الى حد كبير في مسرحياته. (٥٤)

وفيما يتعلق بالشاعر حافظ ابراهيم من حيث تأثره بالاداب الفرنسية فقد كان ملماً بالفرنسية الامر الذي مكنه من الاطلاع على شيء من ادابها فقد ترجم البؤساء لفكتور هيجو وترجم بعض قطع لجان جاك كروسو غير انه لم يكن له الاثر الكبير في شعره فشعره نتاج الادب العربي والثقافة العربية والتجارب الشخصية. (٥٥)

ب- الأدب الانكليزية :

اما الادب الانكليزي فنجد شوقي تأثر بالآخر من خلال ذكره لشكسبير فلم يعرف شوقي عن شكسبير الا الشيء

اسهل واقرب لعقولهم ومستوى فهمهم وقد وجد له القبول من قبل الاوساط التي عاشها وذلك لما لها من اهمية في التوجيه في طرح الافكار قوله في قصيدة (النعجة واولادها):

اسمع نفاثس ما يأتيك من حكى

واقفهم فهم لبيب ناقدأ واعي
كانت على زعمهم فيما مضى عم

بأرض بغداد يرعى جمعها راعي
قد نام عنها فنامت غير واحدة

لم يدعها في الدياجي للكرى راعي
ام الضميم، وسعد، والفتى علف

وابن امه، واخيه منية الراعي (٤٨)
وقصيدة شوقي (كبار الحوادث في وادي النيل) هي اهم اثر على اطلاعه على الادب الفرنسية واكبر ظن انه تأثر بفكتور هيجو من ديوانه المسمى (اساطير القرون)، فقد اطلع شوقي من خلال دراسته في فرنسا على ادابها وفنونها فمن غير المستبعد تأثره بها بعد الاطلاع على الشعر التاريخي فقلده ولم يدخل هذه الملحمة فقط بل كل فرعونيياته فهي صدى لتأثره بشعراء فرنسا الذين تغنوا بأطلال اليونان والرومان (٤٩).

ومن الذين تأثر بهم شوقي (لا مرتين) فقد ترجم له (البحيرة) فمن غير المستبعد تأثره به من خلال نظمه لقصيدته (غاب بولونيا) على الرغم من ان وصف الطبيعة لدى شوقي وصفاً جامداً ليس متحركة (٥٠) ، قوله:

نسرى ونصرخ في فضاءك

والرياح به هجود
والطير أقعد ها الكرى

والناس نايبت والوجود (٥١)
اما في غزله فمن غير الممكن تأثره

بصورة مباشرة او غير مباشرة تعتمد على ثقافة ذلك الشاعر ومعرفته للغة الاخر وادبه ومقدار تفهمه ونظرته لذلك الاخر المتمثل بالعالم المتحضر ثقافياً وادبياً وما يشكله الاخر في نفس الشاعر من تشكل تاريخي ومعاصر لدى الشاعر . فاطلاع شوقي له الاثر الواضح في شعره فتأثره بلا فونتين وبموسيه وبلا مرتين وفيكتور هيجو الذي كان له الاثر الاكبر عند شوقي .

فقد وجد شوقي في الاخر من حرية الدين والفكر ما اوسع صدره لجميع الديانات مع التمسك الشديد بدينه فقد رأى في الحواضر الاوربية ولاسيما في باريس من حب الحياة والحرية والعلم ما كان له اقوى الاثر في شعره محاولاً نشر تلك الحضارة والتطور بين ابناء امته.

ما تلك اهدابي تنظ

م بينها الدمع السكر
بل تلك سبحة لؤلؤ
تحصى عليك بها الذنوب (٦١)
اما حافظ ابراهيم نجد تأثره بالأخر اقل فعصبته للأتراك عصبية دينية بعيدة كل البعد عن السياسة والادب نلحظ ذلك من خلال اشعاره قوله:
رجال من الايمان ملأى نفوسهم
وجيش من الاتراك طمأى قواضيه (٦٢)

الخاتمة

من اهم النتائج التي توصل اليها البحث مركزية الاخر وهامشية الذات في الشعر العربي الحديث في النصف الاول من القرن العشرين (أحمد شوقي انموذجاً) هي ان تأثر اي شاعر بالأخر والاخذ منه

واعزاز بقوله:

تلمس الترك اسباباً فما وجدوا
كالسيف من سلم للعزا وسبب (٥٩)
فضلاً عن ذلك فقد تناول شوقي في اشعاره المرأة العثمانية وجعلها مثلاً للمرأة المسلحة من حيث التزامها الديني والاخلاقي قوله:
يا ملكاً تعيدا
مصلياً موحداً
مباركاً في يومه
والامس، ميوناً غداً

.....

وقلت : كن لله، والسد

لطان، والترك، فدى (٦٠)
وفي ابيات اخرى لشوقي وقد تأثر بالآخر من خلال معنى اخذه من شاعر تركي قوله:

الهوامش:

- (١) الشوقيات، احمد شوقي، دار الفكر، ص١، ج١/٢٢
- (٢) الشوقيات، ج١/٢٥
- (٣) الشوقيات، ج١/٢٩
- (٤) الشوقيات، ج١/٢٩
- (٥) الشوقيات، ج١/٢٣
- (٦) الشوقيات، ج١/٤٩
- (٧) الشوقيات، ج١/٤٢ - ٥٧ ذكر الحوادث والوقائع التي كانت بين العثمانيين واليونان
- (٨) ديوان حافظ ابراهيم، احمد امين واخرون، دار العودة، بيروت - لبنان، ج٢/٤٣
- (٩) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/٥٢
- (١٠) الشوقيات، ج٢-٨٤
- (١١) الشوقيات، ج٢/٨٥
- (١٢) ديوان الزهاوي، عبد الرزاق الهلالي، دار العودة، ط٢، ١٩٧٩، ج١/١٦٠
- (١٣) الشوقيات، ج٢/٨٠
- (١٤) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/١٦٥
- (١٥) الشوقيات، ج١، ٢٢٤
- (١٦) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/٢٠ - ٢١

- (١٧) الشوقيات، ج١/١٧٦
- (١٨) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/١٥٢
- (١٩) الشوقيات، ج٢/٦٢
- (٢٠) الشوقيات، ج١/١٧٦ ونفس المعنى ورد عند شوقي ج٢/١٥٨
- (٢١) شوقيات: ج٤/٨٢ - ٨٤
- (٢٢) ديوان الزهاوي، ج١/٥٦٥
- (٢٣) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/٨٤
- (٢٤) الشوقيات، ج١/٦٤
- (٢٥) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/١١١
- (٢٦) ديوان الزهاوي، ج١/٤٧٩
- (٢٧) ينظر: اثر الفكر العربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي دراسة ونصوص، الدكتور دواد سلوم، قسم البحوث والدراسات واللغوية، بغداد، ١٩٨٤.

١٧٩

- (٢٨) ديوان الزهاوي، ٤٢
- (٢٩) الشوقيات، ج١/٣٨
- (٣٠) الشوقيات، ج١/٤٣ - ٤٤
- (٣١) الشوقيات، ج١/١٦٠
- (٣٢) الشوقيات، ج٢/٧
- (٣٣) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/٧٣ - ٧٤
- (٣٤) الشوقيات، ج٣/٧١
- (٣٥) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/١٢٦
- (٣٦) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/١٢٧
- (٣٧) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/٣٩ - ٤٠
- (٣٨) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/٦٣ - ٦٤
- (٣٩) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/٦٤
- (٤٠) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/٦٧
- (٤١) ديوان حافظ ابراهيم، ج١/١٩٢ - ١٩٣
- (٤٢) الشوقيات، ج٢/٢٧ - ٢٨
- (٤٣) الشوقيات، ج٢/٢٣ - ٢٥
- (٤٤) الشوقيات، ج٢/٣٨
- (٤٥) الشوقيات، ج٢/٥١
- (٤٦) الشوقيات، ج٢/٨٠
- (٤٧) ديوان حافظ ابراهيم، ج٢/٢٢٩
- (٤٨) الشوقيات، ج٤/١٥١
- (٤٩) ينظر: شوقي شاعر العصر الحديث، والشوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، مصر، ٩٢.
- (٥٠) ينظر: م. ن، ٩٣.

(٥١) الشوقيات، ج٢/ ٢٨

(٥٢) ينظر: شوقي شاعر العصر الحديث، ٩٣ باب التثبيت عند شوقي ج٢/ ١١١ - ١٤٥

٥٣ الشوقيات، ج٢/ ٢٨

(٥٤) ينظر: شوقي شاعر العصر الحديث، ١٨٢

(٥٥) ينظر: مقدمة ديوان حافظ ابراهيم ، ٢٢

(٥٦) الشوقيات ، ج٢/ ٧

(٥٧) ينظر شوقي شاعر العصر الحديث، ١٨٩

(٥٨) ينظر مقدمة ديوان حافظ ابراهيم ، ٢٢

(٥٩) الشوقيات، ج١/ ٦٠

(٦٠) الشوقيات ، ج٢/ ٢٨

(٦١) الشوقيات ، ج٢/ ١١٧

(٦٢) ديوان حافظ ابراهيم ، ج٢/ ٤٩

المصادر

١. اثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي دراسة ونصوص، الدكتور داود سلوم، قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ، الكويت ، ١٩٨٤.
٢. ديوان جميل صدقي الزهاوي ، عبد الرزاق الهلالي ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٩ .
٣. ديوان حافظ ابراهيم ، احمد امين واخرون ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ١٩٢٧ .
٤. الشوقيات ، احمد شوقي ، دار الفكر ، ط١ ، ج ١ - ٢ - ٣ - ٤
٥. شوقي شاعر العصر الحديث ، تأليف : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٥٣ .